

إصابة الإمام علي عليه السلام ووفاته

دراسة في مجالي

الجراحة العصبية والطب العدي

الأستاذ الدكتور عبد الهادي الخليلي



الأمانة العامة للعتبة البكاظية المقدسة

قسم الشؤون والفكرية والإعلامية

١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٨٢٥) لسنة ٢٠١٨م

اسم الإصدار: إصابة الإمام علي عليه السلام ووفاته دراسة في مجالي الجراحة العصبية والطب العدلي.

تأليف: الأستاذ الدكتور عبد الهادي الخليفي.

الناشر: الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة - قسم الشؤون الفكرية والإعلام.

الكمية: ١٠٠٠.

المطبعة: دار الكفيل.

التاريخ: ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م.

موقع العتبة المقدسة: www.aljawadain.org للمراسلة: fikriya@aljawadain.org

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على أشرف خلقه وأنوار عرشه محمد وآله، زينة الخلق وتحفة الدهر، لا سيّما سيد الأوصياء وأبو الأئمة الأصفياء، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وسلّم تسليماً كثيراً.

وبعد...

شخصية مثل شخصية أمير المؤمنين عليه السلام تظلّ محطّ أنظار الأجيال وتأمّلات المؤرخين والمحلّلين عبر العصور، فهي ليست شخصية عادية ظهرت في حقبة من الزمن ثم غابت دون أن تترك أثراً أو يكون لها ثقل أو وقع في مسيرة الدهر.

تظلّ شخصية مثل شخصيته عليه السلام تعيش الكتب والمؤلفات عبر العصور، بكل تفاصيل الحياة، ومختلف المواقف والحالات، تحيط بها التحليلات من مناظير مختلفة، سياسية واجتماعية واقتصادية ونفسية، ولك أن تضيف إليها ما شئت، بما في ذلك جريمة اغتياله، صلوات الله عليه، في محرابه. فقد أسهبت الأقلام في عرض ما حصل في تلك الفاجعة سرداً وتحليلاً ومقارنة في المواقف والآراء على مرّ التاريخ، كلّ من منطلق تخصصه. لكن أن تعرض الجريمة على طاولة التشريح في دوائر الطب العدلي، فهذا مما لم تتطرق إليه الأقلام ولا جال في خواطر الباحثين.

بين أيدينا اليوم بحث نفيس، أخذ الجانب الطبي العدلي في جريمة الاغتيال، وأغرق في تفاصيل حالة الاغتيال وكيفيةها وأدواتها ومدى تأثير تلك الأدوات في إتمام الجريمة وتسببها في استشهاد الإمام عليه السلام. وكاتب البحث، الدكتور عبد الهادي الخليلي، طبيب جراح استثمر تخصصه ووظيفه في تتبع دقائق الأمور، مستفيداً من الروايات التاريخية والشهادات التي أدلى بها من شهد الواقعة من أصحاب الإمام عليه السلام وغيرهم، ورأى الإمام والأعراض التي ظهرت عليه بعد أن ضربه اللعين ابن ملجم. فخرج الكتاب ببحث غير مسبوق أسهم في سدّ جانب غير مطروق من البحث في تلك الحادثة الأليمة لشخصية سيد الأوصياء عليه السلام.

وعندما اطّلت الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة على الجهد المبذول في هذا البحث، رأته جيداً بالنشر، كونه فريداً في مضمونه، جديداً في منظوره، تناول الواقعة من زاوية لم تبحث من قبل، فاحتضنته أملاً في أن يرفد المكتبة الإسلامية بشيء جديد غير مسبوق.

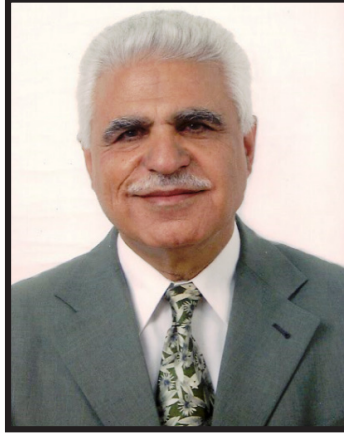
نسأل الله تعالى أن يتقبل من الباحث الدكتور هذا العمل وأن يجعله متقبلاً منه ومننا، إنه سميع الدعاء.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

شعبة الشؤون الفكرية - وحدة البحوث والدراسات

الآراء الواردة في البحث تعبر عن رأي الباحث

السيرة الذاتية المختصرة للباحث



الأستاذ الدكتور عبد الهادي الخليلي

- ❖ وُلد عام ١٩٤٣ في مدينة الكوفة.
- ❖ تخرّج من كلية طب جامعة بغداد عام ١٩٦٦ (الخريج الأول)، وحصل على زمالة كلية الجراحين الملكية البريطانية عام ١٩٧٣، وماجستير فلسفة علوم ١٩٨٤ (المملكة المتحدة)، وزمالة كلية الجراحين الأميركية عام ١٩٨٤.

- ❖ بدأ حياته العملية في اختصاص العيون حيث عمل فيه داخل العراق والمملكة المتحدة. وانتقل إلى الجراحة العصبية وتدرّب عليها في المملكة المتحدة، وعمل كذلك في سويسرا، وألمانيا، وبلجيكا، وكندا.
- ❖ تعيّن بعد عودته بعد الاختصاص عام ١٩٧٦ في جامعة بغداد وحصل على درجة الأستاذية عام ١٩٨٨. وشغل منصب رئيس شعبة الجراحة العصبية في الجامعة وفي مدينة الطب (المستشفى التعليمي للجامعة).
- ❖ أسس اختصاص جراحة محجر العين في العراق من خلال استحداث مركز جراحة محجر العين في مدينة الطب والذي قيّمته منظمة الصحة العالمية بأنه: «مركز متميز في منطقة شرق البحر المتوسط».
- ❖ قال عنه المرحوم الأستاذ الدكتور خالد القصاب بأنه: «أفضل طالب تخرج على يديه»، وقال عنه أستاذه في الجراحة العصبية مايلز كيبسون بأنه: «أفضل طبيب مقيم اشتغل في المستشفى الجامعي في ليدز خلال الخمسة عشر سنة الماضية»، وقال عنه المرحوم شيخ بغداد الأستاذ الدكتور حسين علي محفوظ: «التقت في الخليلي صفات وحالات،

قلّ أن تُجمع في واحد: بيت عريق، ومثبت معرق، وعلم جم،
وتواضع رفيع، وأدب فائق، وخلق عظيم، إلى ذكاء متوقد،
وفطنة براقّة».

❖ خلال وجوده في العراق كان له من البحوث المنشورة ٦٤ بحثاً،
وقدّم ١٠٥ بحثاً في مؤتمرات محلية وعربية وعالمية، ونظّم ٩
مؤتمرات محلية وعالمية.

❖ في خارج مجال التخصص انضم إلى جمعية مكافحة
السرطان العراقية وأصبح سكرتيراً لها لعدة سنوات. وكان
نائب رئيس مجلس أمراض السرطان في العراق، وعضو هيئة
البحث العلمي في وزارة التعليم العالي، وعضو لجنة اختيار
العلماء، كما شغل عضوية العديد من اللجان المهنية الأخرى
ورئاساتها. وانتخب عضواً مؤزراً في المجمع العلمي العراقي،
وكان عضواً مؤسساً في المجمع العلمي الوطني للعلوم. وترجم
كتاب الموجز المصور لفحص الجهاز العصبي واعتمد كتاباً
مساعداً لطلبة كلية الطب، وترجم كتاب التعامل الطبي مع
الكوارث (منظمة الصحة العالمية)، وألّف معجم المصطلحات
الطبية العصبية، وألّف كتاباً حول التمريض العصبي (لم
ينشر)، وكتاباً في الجراحة العصبية (لم ينشر).

❖ أشرف على ٣٠ أطروحة دكتوراه ورسالة ماجستير. وعمل على التواصل العلمي بين التخصصات فأشرف على أطاريح دكتوراه ورسائل ماجستير مرتبطة بالمجال الطبي في الهندسة الكهربائية، والحاسبات، والإحصاء، والمحاسبة، والمكتبات، والطب البيطري. واستحدث مجموعة البحوث الطوعية لطلبة كلية الطب، انضم إليها الطلبة المتميزون في الكلية من المرحلة الثانية إلى السادسة وكانت نواة لتوجيههم إلى الطريق الأمثل.

❖ مُنح لقب الأستاذ المتميز في كلية الطب جامعة بغداد عام ١٩٩٤، ولقب أفضل طبيب من اتحاد الأطباء العرب عام ١٩٩٧.

❖ حصل على جوائز تقديرية متعددة، منها وسام العلم (درجة أ)، وشارة العلم - وهما تمنحان للمتميزين من العلماء في العراق - وذلك في العام ١٩٩٩، ودروع وجوائز من جامعة بغداد / كلية الطب، والهيئة العراقية للاختصاصات الطبية، ووزارة الصحة، ونقابة الأطباء وغيرها. وقد أقامت جمعية المكتبات العراقية حفلاً تكريمياً له لخدماته في المكتبات، فضلاً عن جمعية الحاسبات العراقية لخدماته في مجال الحاسبات.

❖ عمل في العراق في شعبة الجراحة العصبية ومحجر العين في كلية الطب ومدينة الطب في بغداد حتى شهر آب عام ٢٠٠٤. وبعد أن اختطفه مجرمون في ذلك العام ترك العراق. سكن كندا بعض الوقت، وعمل في جامعة ماكماستر. عُرضت عليه مناصب رفيعة في الدولة، لكنه آثر أن يقبل بمنصب ملحق ثقافي في الولايات المتحدة.

❖ خلال وجوده في واشنطن من عام ٢٠٠٦ وحتى بعد تقاعده عام ٢٠١٣، قدّم خدمات للتعليم العالي مما يفخر به. فعلى الرغم من أن عمله بصفة (ملحق ثقافي) يتطلب منه رعاية الطلبة المبتعثين باحتياجاتهم كافة إلا إنه انفتح على المجتمع العلمي والأكاديمي والثقافي في الولايات المتحدة. كان هدفه لمّ شمل الجالية العلمية والمهنية، بل الجالية العراقية كلها على حب وطنهم والعمل على خدمته. كسب ثقة الأكاديميين العراقيين والأمريكان، وأقام مؤتمرات علمية ونشاطات ثقافية على مستوى عالٍ يضاهاها ما يقام في الولايات المتحدة. ومن أهم ما قام به:

- مؤتمر في مكتبة الكونغرس الأميركي، حيث عقد مؤتمراً ليوم واحد، عنوانه «معاً من أجل العراق» عام ٢٠٠٨، وهي سابقة لم يقدمها أحد.

- السابقة الأخرى كانت عقد مؤتمر الأكاديميين العراقيين في الولايات المتحدة عام ٢٠٠٩، وكان عرساً عراقياً علمياً ووطنياً حضره ما يزيد على الثلاثمائة من العراقيين المتميزين. وعقد المؤتمر في أرقى مؤسسة علمية في العالم: الأكاديميات العلمية الوطنية الأميركية.
- أسهم في إقامة مؤتمرات عديدة أخرى، منها مؤتمر قمة الصحة للعراق، ومؤتمرات اتحاد الجمعيات الهندسية الأميركية، ومؤتمر التعليم العالي العالمي، وغيرها.
- ألقى محاضرات بصفة محاضر ضيف أو محاضر مشارك في العديد من المحافل والجامعات، مثل جامعة هارفرد، وجونز هوبكنز، وسان دياغو، والأكاديمية الوطنية للعلوم، وغيرها بما يقارب العشرين مشاركة فعالة.
- قام بزيارات إلى ١٥ مدينة أميركية، أقام في غالبيتها مهرجاناً ثقافياً محلياً، جمع فيها الجالية العلمية والعامّة، وتخللها نشاط ثقافي علمي.
- أقام حفلاً تكريمياً لذكرى لكل من: نازك الملائكة، وفخري البزاز، وبياتريس أوهانيسيان بالتعاون مع أرقى الجامعات في واشنطن، وكذلك تكريماً خاصاً للشاعرة لميعة عباس عمارة.

- قام بالتعاون مع مؤسسات عديدة- بإيصال ما يزيد على الأربعمائة ألف كتاب إلى جامعات العراق، ومجموعة مجلات طبية تبلغ قيمتها سبعاً وعشرين مليون دولار، أملاً في افتتاح مكتبة طبية وطنية، وقاعة عمليات جراحية متنقلة بقيمة مليونين ونصف المليون دولار، ومشروع تدريب الأطباء العراقيين في الولايات المتحدة، وحاسبات لأطفال العراق من النوع الحديث مع فرص تدريب، ونشاطات أخرى عديدة ومهمة.
- المشروع الأهم في عمله في واشنطن هو استحداث لجان تخصصية في مختلف المجالات العلمية والإنسانية والثقافية من العراقيين الأميركيين، واستحداث لجان مناظرة في العراق للتواصل فيما بينهم لرفع مستوى التخصصات في العراق على مستوى الأفراد والأقسام والكلية، داخل مؤسسات التعليم العالي والمجتمع ككل. وكان الأمل في أن يسهم هذا المشروع- عند تحقيقه على مستوى الطموح- في رفع شأن العراق في المجالات كلها. وقد بلغ عدد اللجان ثلاث وأربعين لجنة في مجالات الطب والهندسة والإنسانيات والتراث والثقافة وغيرها.

- ❖ استحق شكر دولة رئيس الوزراء والعديد من أصحاب المعالي الوزراء لما قدمه من خدمات، وهو في الولايات المتحدة.
- ❖ شعاره ما قاله به جبران خليل جبران: «لا تسأل وطنك ماذا قدّم لك؟ اسأل دائماً ماذا قدّمت لهذا الوطن؟».

تقديم

دراسة تشريحية تاريخية فريدة لإصابة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ووفاته

هذه دراسة نادرة يقدمها شيخ الأطباء المتخصصين في جراحة الدماغ والجملة العصبية، البروفيسور عبد الهادي الخليلي الذي تلقى علومه في أهم المعاهد العلمية، الوطنية والدولية، يضاف إليها خبرة سنوات طويلة في ممارسة جراحة الجملة العصبية.

لقد ركّب المؤلف مركباً صعباً فأقدم على دراسة الواقعة التاريخية المهمة التي غيرت مجرى التاريخ العربي الإسلامي، ألا وهي إصابة الإمام علي عليه السلام ثم وفاته، التي أقدم عليها عبد الرحمن بن ملجم.

ومن خلال خبرته الطبية الواسعة، مضافاً إليها تبحّره في المصادر التاريخية الموثقة، والتمعّن في أدقّ تفصيلاتها وشواردها، حاول الكاتب أن يحلّل هذا الحدث ويفسّره، بل يفكّكه، بجدارة ودقّة.

ربما للمرة الأولى في تاريخ الطب العدلي في العالم العربي، استطاع هذا الطبيب الأديب الأريب أن يعرف هو أولاً، ويعرف القراء ثانياً، كيف استشهد الإمام؟ ولماذا؟ وماذا قال قبل وفاته؟

رصد المؤلف الواقعة وما بعدها، حيث ظل الإمام على فراش الموت قرابة ٤٨ ساعة قبل أن يسلم الروح. وهذه الفترة كانت موضع دراسة معمّقة من جانبه إذ يستنبط منها أسباب الوفاة، بنظرة العالم الحصيف المتمكّن.

لا شك أن الدكتور الخليلي قدّم أطروحة علمية وعملية بارعة لا تتعلّق فقط بحالة المريض المقصود، بل هي درسٌ ثري في الطب العدلي.

فالمؤلف يضع أسئلة صعبة ويجب عنها بكفاءة عالية:

أين كان موضع الإصابة عند الإمام؟ أين مكان الإصابة في الرأس؟ هل سببت إصابة الرأس الوفاة؟ هل تسبّب السّم بالوفاة؟ هل هناك احتمال آخر سبّب الوفاة؟

وهذه أسئلة عسيرة أجاب عنها الكاتب الحصيف بكفاءة عالية مستنداً إلى مراجع تاريخية عديدة، بالإضافة إلى آخر ما توصلت إليه العلوم التشريحية الحديثة.

وللإجابة عن هذه الأسئلة بدقة، قسّم المؤلف الدراسة إلى ثلاثة أقسام: الأولى إصابة الرأس، الثانية السّم، الثالثة أسباب أخرى أدّت إلى الوفاة. وفي كلّ فصل من هذه الفصول يثير المؤلف أسئلة دقيقة، لا يطرحها إلا المتبحّر في اختصاصه بالإضافة إلى اختصاصات أخرى تتعلّق بعلم التاريخ ووقائعه وطريقة نقله للواقعة.

وفي مجال إجاباته عن تلك الأسئلة يعرض مختلف الروايات ويذكر المراجع بدقة الأكاديميّ البليغ والحريص.

والأمر المهم الآخر الجدير بالاعتبار هو وصية الإمام عليّ عليه السلام بطريقة معاملة الجاني، إذ يقول: أطيبوا طعامه وألينوا فراشه، فإن أعش فأنا وليّ دمي؛ إمّا عفوت وإمّا قصصت، وأن متّ فألحقوه بي، ولا تعتدوا إن الله لا يحبّ المعتدين.

والمؤلف لا يكتفي بالشرح التشرّحيّ المفصّل والبارع لجميع الاحتمالات الممكنة لنتائج ضربة السيف التي شجّت الجمجمة ووصلت إلى نخاع الدماغ، بل يُعزّز شرحه برسوم ملوّنة توضّح الشرح وتثريه، ما يدلّ على ثقته بما توصل إليه من استنتاجات ناضجة.

وقد وَضَّحَ فِي الخاتمة مثلاً الأسباب السريرية، المباشرة وغير المباشرة للوفاة بوجه عام.

علماً بأنه استخدم في بحثه المتعمق هذا ٥٠ مرجعاً عربياً و ٢٣ مرجعاً إنكليزياً.

وهكذا فنحن نعد هذه الدراسة قطعة فريدة جديرة بالاهتمام والتقدير، ليس فقط من جهة كونها تمثل جهداً علمياً وتشريحيّاً سامقاً، ولا لأنها تعتمد على مراجع تاريخية أصليّة موثوقة، وحسب، بل لأنها تتجلى وتسمو في ذات الوقت، بتحليلات الباحث نفسه واستنتاجاته البارة والمقنعة.

الدكتور علاء الدين الأعرجي

باحث ومفكر عراقي / نيويورك

إصابة الإمام علي عليه السلام ووفاته

دراسة في مجالي

الجراحة العصبية والطب العدلي

ملخص الدراسة:

إن دراسة حياة أولئك الذين غيَّروا مجرى التاريخ تقتصر في الغالب على سيرتهم وما قدَّموه. ولكن من المفيد إتمام تاريخ سيرتهم بدراسة أيامهم الأخيرة وكيف انتقلوا إلى العالم الآخر. وفي هذا قدَّمت العديد من الدراسات حول تفاصيل وفاة أنبياء ومصالحين وسياسيين وعلماء وموسيقين وغيرهم بتفاصيل تبين كيفية وفاتهم وأسبابها. في هذه الدراسة يحاول الباحث الوصول إلى أسباب وفاة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد أن ضربه عبد الرحمن بن ملجم بسيفه المسموم وأصاب رأسه بجرح نافذ إلى عمق الجمجمة وحتى الدماغ. وبعد الإصابة بيومين انتقل الإمام عليه السلام إلى بارئته. كانت هناك عدة أسئلة: أين كان موضع الإمام عليه السلام عند الإصابة؟ أين مكان الإصابة في الرأس؟ هل سببت إصابة الرأس الوفاة؟ هل تسبب السم بالوفاة؟ هل هناك احتمال آخر سبب الوفاة؟ تمت الإجابة على هذه التساؤلات من خلال الدراسة والتوصل إلى أن: الإمام عليه السلام أصيب بمواجهة وهو منتصب القامة، وكان موضع الإصابة في مقدمة الجانب الأيسر من الرأس وا لجرح النافذ بطول حوالي الإنجيين وعمق حوالي الإنج. لم تكن إصابة الرأس السبب المباشر للوفاة حيث

لم تظهر علامات التهاب السحايا ولا التهاب الدماغ وبقي وعي الإمام عليه السلام كاملاً حتى لحظة وفاته. ولم يتبين أنّ السمّ كان سبباً للوفاة لعدم تطابق الحالة السريرية بعد الإصابة بما يحدث للمصاب بالسموم المعروفة. ولم تكن الأسباب الأخرى المحتملة قريبة إلى مستوى القبول النهائي كي تُعدّ سبباً للوفاة مثل التسمم الدموي الجرثومي أو خذلان جهاز الدوران الناتج عن فقدان السوائل. ومن المحتمل أنّ الوفاة حدثت بتداخل الأسباب المذكورة آنفاً أو بنوع من السمّ لم تشمله الدراسة.

الكلمات المفتاحية:

عليّ بن أبي طالب عليه السلام، عبد الرحمن بن ملجم، الجراحة العصبية، الطب العدلي، إصابات الرأس، السموم، تاريخ المشاهير، حوادث مهمة في التاريخ.

المقدمة

بدعوة كريمة من منتدى الرُّواد، تحدثتُ في قاعة القصر الأبيض ببغداد عام ١٩٩٦ بحديث عنوانه: «المجتمع وجراحة الدماغ»، وتعرضت في حديثي إلى العلاقة الوثيقة بينهما. ومن الشواهد التي ذكرتها الصداع والصرع وحوادث المرور وغيرها، وتأثيرها على المجتمع. والموضوع المهم الآخر الذي تطرقت إليه كان إصابات الشدّة على الرأس، مستذكراً عدداً من الأمثلة لرموز تاريخية من الذين توفوا بسبب إصابة في الرأس. وكان يمكن لو توافر جراح الدماغ في زمانهم، أن يحقق بعلاجهم ومحاولة إنقاذهم أن يغير بفعله مجرى التاريخ. وذكرتُ أمثلةً كان أهمها إصابة أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وعند وقوفي عند إصابة الرأس التي تعرض لها أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن ضربه عبد الرحمن بن ملجم بالسيف المسموم وتفاصيل الأحداث بعد ذلك حتّى لحظة الوفاة (استشهاده)، وجدت أن هناك ما يستحق التأمل والتحقيق في سبب الوفاة الحقيقي من ناحية جراحة الدماغ وكذلك من الناحية الطّبية العدلية، مستفيداً من تخصصي وخبرتي المتواضعة. وما يمكن أن تسري عليه الأحداث الصحية في مثل

هكذا إصابة وما يؤول إليه حال المصاب. وبما أن الإصابة كانت مصحوبة بالتعرض للسُم فقد احتل ذلك تشابكاً وتفاقماً لتأثيرات مزدوجة على الجسم.

وفي مجال دراسة كيفية وأسباب وفاة بعض من غيروا مجرى التاريخ البشري والمشاهير، نشر العديد من الباحثين دراسات طبية تاريخية مفصلة، ومن هذه البحوث ما شمل النبي موسى والنبي عيسى عليه السلام ومصلحين مثل كونفوشيوس وبوذا وعلماء من أمثال: نيوتن وأينشتاين وسياسيين مثل لينين وكندي وموسيقيين مثل بيتهوفن وموزارت وغيرهم. (يُنظر قائمة المصادر الأجنبية: ١ - ١٠).

إن دراسة وفاة الإمام علي عليه السلام هذه مبنية على ما استنبطته طبيباً من الأخبار التي سطرها المؤرخون نقلاً عن شهود العيان ممن كانوا مع الإمام عليه السلام منذ لحظة إصابته وحتى وفاته والتي جاوزت الـ: ٤٨ ساعة. (٦، ٨، ٢٢، ٢٧، ٣١، ٣٦، ٣٩)^(١).

وإن واقع الحال يقضي بأن أشير إلى أن هذا البحث ما هو إلا مجرد محاولة على طريق معرفة الحقيقة الطبية لهذا الحدث الهائل، والدراسة تحتاج إلى تواصل من قبل باحثين آخرين.

(١) يشير الباحث إلى رقم المصادر كما وردت في قائمة المصادر.

ملخص تاريخ الإصابة:

في صبيحة اليوم التاسع عشر من رمضان عام ٤٠ للهجرة المصادف للعام ٦٦١ ميلادي أصيب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام بضربة نافذة على رأسه بسيف مسموم من قبل عبد الرحمن بن ملجم المرادي. وبعد يومين من الإصابة توفّي الإمام عليه السلام (يُنظر قائمة المصادر العربية ١-٥٠). وعند الدراسة الأولية للإصابة من الناحيتين الجراحية الدماغية والطبية العدلية تبين أن هناك ما يدعو إلى التعمّق في هذين المجالين لكشف بعض التفاصيل الطبية ومحاولة معرفة سبب الوفاة المباشر.

مناقشة الحالة:

قسّمت مناقشة الإصابة إلى ثلاثة أقسام بحيث ينصرف القسم الأوّل إلى إصابة الرأس، ويتوقف القسم الثاني عند السّم، بينما يقارب القسم الثالث الاحتمالات الأخرى.

أولاً: إصابة الرأس.

ثانياً: السّم.

ثالثاً: أسباب أخرى محتملة للوفاة.

أولاً: إصابة الرأس:

إذا حاولنا الدخول في التفاصيل الطبيّة العدلية، وكذلك التفاصيل الجراحية الدماغية، ستواجهنا عدة تساؤلات منها:

- ❖ أين كان موقع عبد الرحمن بن ملجم حين الضربة؟
- ❖ أين كان موضع الرأس عند الضربة؟
- ❖ وهل أصيب الإمام عليه السلام حينما كان ماشياً أو خلال الصلاة في السجود أم أثناء رفع الرأس من السجود، أم بعد أن اعتدل جالساً؟
- ❖ حالة الوعي؟
- ❖ أثير السكوني الطبيب؟
- ❖ هل اعتم الإمام عليه السلام بعمامة؟
- ❖ الجرح؟
- ❖ جهة الإصابة؟
- ❖ أين كان مكان الإصابة في الرأس؟

❖ ما هي التفاصيل الجراحية للإصابة؟

❖ وما هي تفاصيل حالة الجهاز العصبي بعد الإصابة؟

أين كان موقع عبد الرحمن بن ملجم حين الضربة؟

أقول اتفق العديد من المؤرخين أن ابن ملجم وشريكه شبيب بن بجرة -بحيرة- (١، ٢، ٣) كانا بانتظار الإمام عليه السلام في طريقه ليدخل إلى المسجد عند صلاة الصبح وهجما عليه فأخطأ شبيب الإصابة بينما أصاب ابن ملجم رأس الإمام عليه السلام (٣، ٣٠).

وذكر مؤرخون آخرون: إنَّ الإصابة حدثت حينما كان الإمام عليه السلام يؤدي صلاة الصبح (٢٥، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣).

ووثق آخرون بأنَّ الإمام عليه السلام ركع وسجد سجدة واستوى قاعداً، وأراد أن يسجد الثانية حينها ضربه ابن ملجم (٣٤) أو أنَّ الإمام عليه السلام كان يصلي، فلما رفع رأسه من سجود الركعة الثانية هجم عليه شاهراً سيفه وضربه على رأسه (٨، ٢٤، ٣٠، ٣١، ٣٣، ٣٤).

أين كان موضع ابن ملجم من الإمام عليه السلام؟

إن الرواة يتفقون جميعاً بأن الإصابة كانت في مقدمة الرأس. فقالوا في قرنه (القرن: الجانب الأعلى من الرأس (١، ٢، ٥، ٦، ٧، ١٢، ١٣، ١٧، ٢١، ٢٤، ٢٦، ٢٩، ٣٠، ٣٥، ٣٦، ٣٧) وقيل جاءت الضربة في جبهته (٣٨) وجبهته إلى قرنه (١٨). وذكر آخرون أن ابن ملجم ضربه على صلعته (٣١، ٣٩).

وأكد عدد من المؤرخين إنها كانت في موضع ضربة عمرو بن ودّ العامري في واقعة الخندق حينما حمل العامري على الإمام عليه السلام وضربه على رأسه (٣١، ٣٣، ٣٤) فاتّقاها بالدرقة، فقدّها السيف ونفذ منها إلى رأسه فشجّه (٨، ٣١، ٣٣، ٤٠).

حالة الوعي:

❖ عند الإصابة:

حينما أصيب الإمام لم يفقد الوعي حيث قال عندها: «فُزْتُ ورَبَّ الكعبة» (١٧، ٢٢، ٣٨).

❖ بعدها مباشرة:

ومن ثمّ قال: «لا يفوتنكم الرجل»: (٢، ٣، ٤، ٦، ٢٧، ٣٦). قال الإمام عليه السلام: عليّ بالرجل فأدخل عليه... (٩، ١٣، ١٥، ١٦، ١٧، ٢٠، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٣١، ٣٦، ٣٩، ٤١)، أو: احبسوا الرجل (١٧، ١٩، ٢٩).

في المنزل:

ثمّ حُمِلَ إلى منزله وأتاه العوّاد. فحمد الله وأثنى عليه... ثمّ قال: ... (١٦).

وبعدها وعندما جُلب ابن ملجم إليه قال له: إيه عدوّ الله ما حملك على هذا؟ (١٧، ٢١) ألم أحسن إليك؟ (٢٦، ٤١). فقال له: ويحك ما حملك على ما فعلت (١٧، ٣٣) أخا مراد؟ أبئس الأمير كنت لك؟ (٣٤). يقول له النفس بالنفس (١٨، ٢٣، ٢٤).

ثمّ قال الإمام عليه السلام: أطيبوا طعامه وألينوا فراشه، فإنّ أعشّ فأنا ولي دمي، إما عفوت وأما قصصت. وإنّ مُتّ فالحقوه بي ولا تعتدوا أنّ الله لا يحبّ المعتدين (٢، ٥، ٦، ٢٧).

قال الإمام عليه السلام: عليّ بالرجل فأدخل عليه... (٩، ١٠، ١٣، ١٥، ١٦، ٢٠، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٣٠، ٣١، ٣٦، ٣٩، ٤١).

خلال فترة إصابته:

دَخَلَ عَلَيْهِ جُنْدُبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يُسَلِّيهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
إِنْ فَقَدْنَاكَ، لَا فَقَدْنَاكَ، فَنَبَايَعُ الْحَسْنَ؟ مَا أَمْرُكُمْ وَلَا أَنْهَاكُمْ
أَنْتُمْ أَبْصَرْتُمْ دَعَا الْحَسْنَ وَالْحُسَيْنَ فَقَالَ لِهَمَا أَوْصِيكُمَا... (٤)،
٨، ١٣، ١٤، ٤١). وَكَانَ يَقُولُ لِمَنْ فِي الْمَنْزِلِ: أَرْسَلْتُمْ إِلَيَّ أَسِيرَكُمْ
طَعَامًا؟ (٣٤). قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ الْبَلَاءِ رِخَاءٌ؟ فَلَمْ يَجِبْنِي وَأُغْمِي
عَلَيْهِ، فَبَكَتْ أُمُّ كَلْثُومٍ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: لَا تُؤْذِينِي يَا أُمَّ كَلْثُومٍ، فَإِنَّكَ
لَوْ تَرَيْتَ مَا أَرَى لَمْ تَبْكِي (٤٢).

دَخَلَ عَلَيْهِ الْأَصْبَغُ بْنُ نَبَاتَةَ، فَقَالَ لَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: «أَمَا
سَمِعْتَ قَوْلَ الْحَسَنِ عَنْ قَوْلِي؟.. وَقَالَ لِي: أَقْعَدُ فَمَا أَرَاكَ تَسْمَعُ
مَنِي حَدِيثًا بَعْدَ هَذَا...» (٥٠).

قبيل وفاته:

فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، دَعَا عِنْدَ ذَلِكَ بِدَوَاةٍ وَصَحِيفَةٍ وَكَتَبَ
وَصِيَّتَهُ (٢، ١٠، ٢٣، ٢٤، ٣٠، ٤٣)، فَكَانَتْ وَصِيَّتَهُ: «بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ...» (١٧، ٤١).

لما فرغ من وصيته قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم لم يتكلم إلا ب: «لا إله إلا الله» حتى توفي (٣٨)، حتى قبض (٨). وكان آخر ما تكلم به بعد أن أوصى الحسن بما أراد «لا إله إلا الله» يرددها حتى قبض (٢٦، ٤٣). وقد قيل أن آخر ما تكلم به: «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» (٢٦).

خرجت أم كلثوم من عند أبيها، فقال لها عليّ (عليه السلام): أي بنية أجيبي عليك الباب، ففعلت ذلك. قال الحسن (عليه السلام): وكنت جالساً على باب البيت، فسمعت هاتفاً آخر يقول: «أفمن يلقى في النار خير أمن يأتي آمناً يوم القيامة...» قال الحسن (عليه السلام): فلم أصبر أن فتحت الباب ودخلت فإذا أبي فارق الحياة (٣٤).

أثير السكوني الطيب:

أجمع المؤرخون أنه جُمع للإمام (عليه السلام) أطباء الكوفة، وكان فيها آنذاك ما يقرب من مائة وخمسين طبيباً (١، ٤٤). فلم يكن منهم أحد أعلم بجرحه من أثير بن عمرو بن هانئ السكوني، وكان متطبباً صاحب كرسي يعالج الجراحات. وكان من الأربعة

غلاماً الذين كان خالد بن الوليد أصابهم في عين التمر فسباهم. فلما نظر أثير إلى جرح أمير المؤمنين عليه السلام، دعا برئة شاة حارة فاستخرج منها عرقاً (وفق تقدير الباحث يجب أن يكون العرق قصبية هوائية، وليس العرق الشائع لغوياً بأنه الوعاء الدموي كالشريان أو الوريد). وأدخله في الجرح ثم نفضه ثم استخرجه، وإذا عليه بياض الدماغ. فقال يا أمير المؤمنين: أعهد عهدك فإنّ عدوّ الله قد وصلت ضربته إلى أمّ رأسك. فدعا علي عليه السلام عند ذلك بدواة وصحيفة وكتب وصيته (٢، ١٠، ٢٣، ٢٤، ٤٣). وقد ذكر أحد المؤرخين أنّ السكوني جاء لعيادة الإمام عليه السلام في يوم الإصابة (١٠).

هل اعتم الإمام عليه السلام بعمامة:

في الغالب، كان العرب يعتمون بعمامة، وخصوصاً أثناء الصلاة (٢٥، ٤٥، ٤٦). وعليه يحقّ القول بأنّ الإمام عليه السلام كان يعتم بعمامة. فهل كانت العمامة على رأسه في حينه؟ وذلك هو الأرجح، فإذا كان الأمر كذلك فإنّ الضربة كانت في الموضع المكشوف من الرأس وليس من خلال العمامة. حيث لم يذكر طبيب الكوفة أثير السكوني عند الفحص أن هناك آثار دخول قطع من قماش عمامته داخل الجرح، وهو ما يحدث حينما يكون الجرح من خلال غطاء الرأس، العمامة مثلاً.

الجرح:

عند الإصابة، نزف جرح فروة الرأس. وكان الإمام عليه السلام ينقل رأسه^(١) من الدم (٣٠) وسال الدم على لحيته (٢٦) ونزف واصفر وجهه (٤٧، ٤٨). ومنها ما روي عن عمرو بن الحمق، قال: دخلت على علي عليه السلام حين ضرب الضربة بالكوفة، فقلت: ليس عليك بأس، إنما هو خدش. قال: لَعَمْرِي إِنِّي مَفَارِقُكُمْ (٤٢، ٤٣).

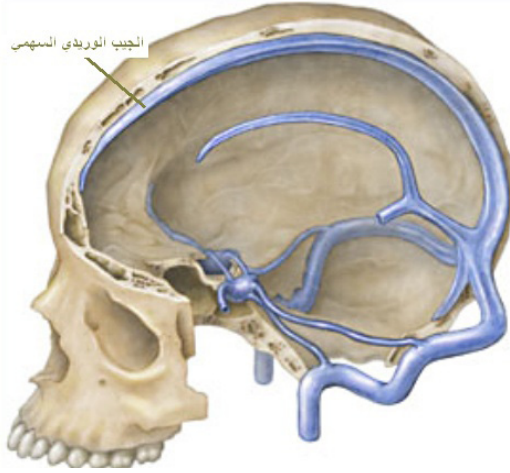
جهة الإصابة:

لم يذكر أحد من المؤرخين أن ابن ملجم كان أعسر، فإذا كان السيف في يمينه وهو يواجه الإمام عليه السلام أثناء الضربة. ومن حرصه على أن لا يخطئ إصابة الإمام عليه السلام، ومن رهبته من الإمام عليه السلام، وخوفه من مريديه، فإنه يضرب حيث يمكنه إصابة رأس الإمام عليه السلام بأسرع ما يستطيع وليتمكن من الهرب. وبما أن أقوى مسار للسيف هو مسار اليد الطبيعي العمودي على الجسم بامتداد خط حركة ذراع ابن ملجم اليمنى، فإن الإصابة كانت على الأرجح في الجانب الأيسر من مقدمة الرأس (القرن).

(١) في الخبر: ينقل رأسه من الدم إذا سجد من مكان إلى مكان.

مكان الإصابة:

والإصابة لم تعبر إلى يمين الجبهة وإنما كانت على الأغلب موازية له. ولو كانت الإصابة مائلة واخترق الجرح خط الوسط لأحدث ذلك نزيهاً داخل الجمجمة، مما يسبب في البداية تلون بياض الدماغ بحمرة الدم وهذا ما لم يشاهده السكوني الطبيب وبمرور الوقت. وبسبب قطع حتمي في جيب وريدي طولي كبير يسري في خط الوسط داخل الجمجمة من أمام الجبهة إلى مؤخرة الرأس يُدعى بالجيب الوريدي السهمي العلوي، وبعمق الجرح الذي وصفه أثير السكوني، يحدث نزفاً دموياً داخل الجمجمة (ينظر الشكل رقم ١). وإذا ما حدث ذلك فإنّ النزف الحاصل داخل الجمجمة يستمرّ ويسبب ضغطاً على الدماغ. ويعتمد مقدار النزف على حجم الجيب الوريدي في تلك المنطقة. ويؤدي ذلك إلى تدهور متسارع في الوعي، وتشلّ الأطراف، ويفقد الوعي تماماً، وتنتهي الحالة بالوفاة.



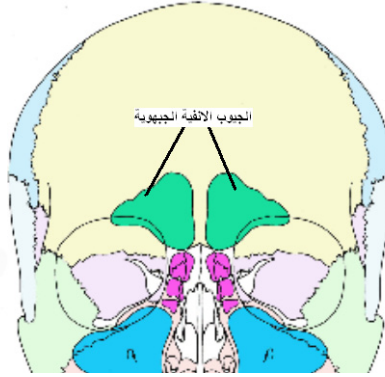
الشكل رقم (١)

الجيب الوريدي السهمي

هل جاءت الضربة في أسفل الجبهة أي فوق الحاجب مباشرة؟

فإذا كانت كذلك فإن الإصابة ستصيب الجيوب الأنفية الجبهوية التي تقع عند مستوى الحاجبين في قاعدة الجمجمة. وهنا يحصل في الغالب نزف من الأنف لارتباط الجيوب الأنفية في قاعدة الجمجمة بالأنف. (ينظر الشكل رقم ٢) وهذا ما لم يُذكر في الأحداث الموصوفة، حيث إن الدم كان مصدره جرح فروة الرأس ولم يُذكر أبداً أن هناك نزفاً من الأنف. وكذلك فإن الجرح فوق الحاجب يمكن أن يسبب نزفاً داخل فروة الرأس وكدمة تسبب

حمرة وزرقة في الجلد عند الحاجب وحول محجر العين، وهذا ما لم يذكره شهود العيان أبداً.

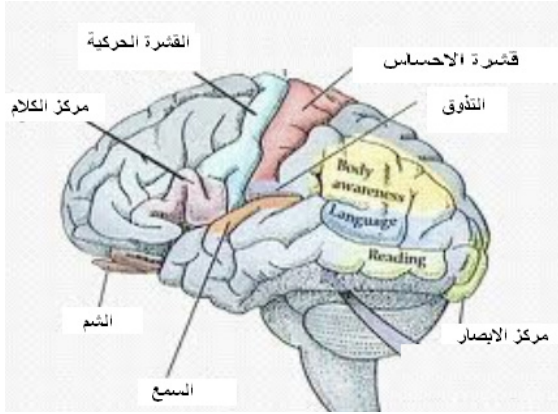


الشكل رقم (٢)

الجيوب الأنفية

هل جاءت الضربة في أعلى الرأس:

إذا كان ذلك، فإنّ السيف سيصيب -ويعمق نفاذ الجرح الذي تبين من تقرير السكوني- القشرة الحركية الدماغية (يُنظر الشكل رقم ٣) المسيطرة على حركة الجانب المعاكس من الجسم مما يسبب شللاً نصفياً جزئياً أو كلياً فيه. ومن سير روايات المؤرخين نجد أنّ ذلك لم يُذكر مطلقاً، ولم تتوافر أي إشارة إلى وجود ضعف في الذراعين أو الساقين حتى لحظة وفاته.

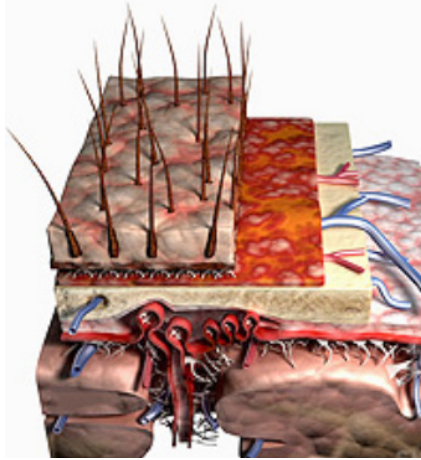


الشكل رقم (٣)

القشرة الدماغية الحركية

هل نرف الدم بكثرة؟

ليس هناك ما يعطي فكرة واضحة عن شدة النزف من الجرح عند الإصابة. ولكن من المعلوم أن فروة الرأس من أغزر مناطق الجسم للأوعية الدموية (يُنظر الشكل رقم ٤). وعليه، فإنه يمكن القبول بفرض حالة فقدان دم كثير من الجرح.



الشكل رقم (٤)

فروة الرأس

إصابة الجمجمة:

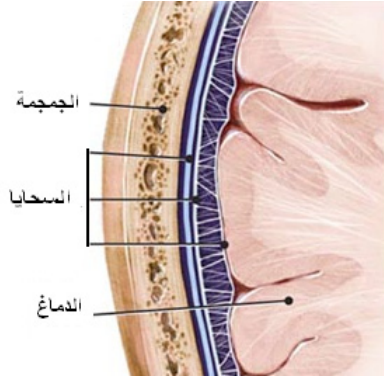
من المؤكّد أنّ الإصابة قد نفذت إلى داخل تجويف الجمجمة، أي أنّها وصلت إلى الدماغ وشملته؛ والذي يدعم ذلك أنّ الطبيب أثير السكوني عندما أدخل عرق (قصيبة هوائية) رئة الشاة في جرح رأسه نفذ من خلاله إلى داخلها وظهر بياض الدماغ على العرق عندها قال: يا أمير المؤمنين اعهد عهدك... إلى آخر الوصية (٢٤).

هل كان كسر الجمجمة كبيراً؟

مما لا شكّ فيه أنّ الإصابة سبّبت كسراً في الجمجمة لنفاذ الجرح إلى بياض الدماغ. ولكنّ الكسر لم يكن بالكبير وذلك لعدم قدرة السكوني الطبيب من وصفه على حاله واضطر لإدخال عرق الرئة داخله لاستكشافه ومشاهدة المادة الدماغية عليه عند إخراجها. فلو كان الجرح كبيراً لاستطاع مشاهدة داخل الدماغ مباشرة من خلال الفتحة التي أحدثها الجرح. وعليه فإنّ كسر الجمجمة كان بعرض نصل السيف النافذ فقط.

هل تمزقت السحايا؟

بما أنّ الإصابة قد نفذت إلى داخل المادة الدماغية فيُستدلّ أنّ الإصابة نفذت من خلال تمزق السحايا وهي الأغشية التي تغلف الدماغ من كلّ جهاته. (يُنظر الشكل رقم ٥). ولكن تمزق السحايا هذا لم يسبب نزفاً حول السحايا مما يحدث أحياناً في هكذا إصابة. والدليل هو عدم تلوّن بياض الدماغ بحمرة الدم لسهولة سريان الدم من خارج السحايا إلى داخل الدماغ.

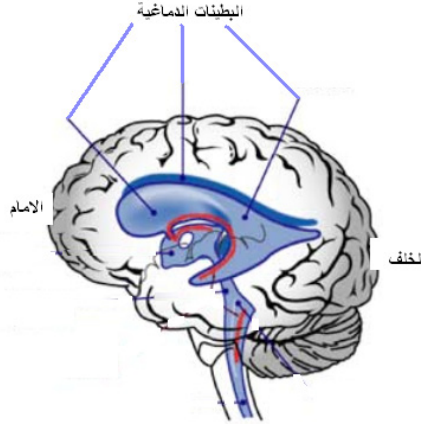


الشكل رقم (٥)

السحايا وما حولها

الجرح الدماغية:

لقد نفذت الإصابة إلى الدماغ، ولكنها لم تنفذ عميقاً داخله حيث البطينات الدماغية (يُنظر الشكل رقم ٦)، والتي عند وصول الدم النزفي إليها تحدث حالة تدهور في الوعي وصداعاً شديداً مما لم يشر المؤرخون إلى حدوثه. وعليه فإن عمق الجرح خلال المادة الدماغية لم يتجاوز الإنج أو أكثر بقليل.



الشكل رقم (٦)

البطنيات الدماغية:

ومما يدعم أن يكون عمق الجرح الدماغى لا يزيد كثيراً على الإنج هو عدم حصول نزف داخل الدماغ، لعدم بلوغه الأوعية الدموية الدماغية الموجودة في ذات العمق، ولكن بجانب البطنيات. وإذا ما حصل تمزق في تلك الأوعية الدماغية ينتج عنه نزف مستمر داخل الدماغ يتزايد ساعة بعد ساعة مما يؤدي إلى الشلل المتفاقم، وتدهور في الوعي، ثم فقدانه، ومن ثم الموت.

ومن المهم أن نؤكد أن وعى الإمام عليه السلام علي بعد الإصابة وحتى وفاته كان واعياً وعبياً كاملاً، ما عدا نوبات إغماء وقتي

متكررة حيث أوصى بوصيته وتحدث إلى أهل بيته وزائريه بلغة لا تختلف عن وصاياهم وخطبه أيام كمال صحته، لا في سمو الأسلوب ولا في إصابة المقصد.

استنتاج أول:

كانت الضربة بالمواجهة، والجرح (الإصابة) عمودياً موازياً لخط الوسط في الجانب الأيسر من أعلى الجبهة (القرن). وكان طول الجرح يقارب، أو يزيد على الإنجيين، وعمق يقارب، أو يزيد قليلاً على الإنج. وكان الإمام عليه السلام أثناء الضربة ماشياً منتصب القامة ولا يمكن أن تكون الضربة والإمام عليه السلام جالساً أو رافع أثناء الصلاة. ففي هاتين الحالتين، ستكون الضربة في أعلى الرأس أو في خلفه وليس في مقدمته.

استنتاج ثاني:

هل كانت إصابة الرأس سبباً للوفاة؟

لقد أصيب الإمام عليه السلام بضربة سيف حاد، نافذة إلى داخل الجمجمة، مخترقة فروة الرأس والجمجمة والسحايا، وعمق إنج في داخل المادة الدماغية.

مما سبق تفاصيله، فإنه من المستبعد جداً حصول التهاب السحايا أو التهاب الدماغ أو خراج الدماغ؛ وذلك لعدم حصول المضاعفات المتوقعة مثل الحمى والصداع وتدهور الوعي وفقدانه قبيل الوفاة. ففي حالات التهاب السحايا أو الدماغ، يفقد المصاب وعيه قبيل الوفاة. أما الإمام عليه السلام فقد بقي واعياً إلى لحظة مفارقة روحه جسده. وكذلك من المعلوم أن الوفاة بسبب الإلتهاب السحائي أو الدماغي لا تحدث إلا بعد أيام عديدة أو أسابيع اعتماداً على سُمِّية الجراثيم المسببة، والتي تتسرب إلى الجرح من خلال الجلد حول الجرح الملوّث الملتهب، والذي لم يكن تبين أنه كان ملوّثاً في حالة الإمام عليه السلام. فقد علّق أحد عاينه قائلاً: ما جرحك بشيء. وكذلك لم يكن هناك تلوث الجرح ببقايا نسيجية نافذة من عمامته والتي يمكن أن تسبّب التهاباً كيميائياً» في السحايا والدماغ.

الاستنتاج النهائي:

إن سبب الوفاة المباشر لم يكن إصابة الرأس.

ملحوظة:

من الجدير بالذكر هنا القول بأن هناك حالة لا يمكن تفسيرها بسهولة، وهي أن الرجة الدماغية الأنية الناتجة عن ضربة السيف على الرأس بسرعة هائلة، وبشدة بالغة ونافذة إلى داخل الجمجمة، لم تسبب فقدان الوعي عند الإمام عليه السلام والذي يحدث عادة عند الشدة على الرأس مهما كان سببها؛ كسقوط من مرتفع أو ارتطام أو ضربة مباشرة على الرأس. فقد قال الإمام عليه السلام عند الضربة مباشرة: فُزْتُ وَرَبَّ الكعبة. ومن ثمّ وبكامل الوعي: لا يفوتنكم الرجل.

ثانياً: السُمُّ كسبب للوفاة:

من المؤكّد أن ابن ملجم قد سمّم السيف حيث قال: سمّمته بألف (كذا) (١١٦، ٣٠، ٤٩)، «أن سيّفي اشتريته بألف وسمّمته بألف...» (٤، ٨، ١٣، ١٥، ١٦، ١٧، ٢٣، ٢٤، ٢٦). وفي الأحاديث الأخرى: احذروا السيف فإنّه مسموم (٢٩) وسيف مسموم، (٢٢) وسقاه بالسُمِّ (١٤، ١٩)، وفي الكعبة... فأخذوا سيوفهم فسمّوها (٨، ٤).

لم يشر المؤرخون في ذلك العهد بأية إشارة إلى أنواع السُّموم المستخدمة ولا طرق استخدامها في تسميم السيوف.

يُذكر أن هناك طرقاً متعددة لتسميم السيف؛ فمنها أن يُطلى السيف مباشرة بالسُّم، وهناك ما يدخل في صناعة السيف حيث تحضر فيه أخاديد طولية يُطلى فيها السيف بالسُّم ويجف، وتكون كميته أكبر مما يطلى به السطح الأملس. وهناك طريقة وضع السُّم في غمد السيف فيخرج منه السيف متبلاً بالسُّم عند استخدامه. وكذلك طريقة إحماء السيف وصب السُّم عليه لتتشرَّب مسامه بأكثر ما يمكن من السُّم. وليس لنا أن نعرف الطريقة التي استخدمها ابن ملجم عند تسميم السيف. وإن ما قاله فقط هو "سَمَّمته بألف".

الإشارة إلى تأثيره بالسُّم:

لم تكن هناك إشارة واضحة لتأثير السُّم على حالة الإمام عليه السلام الصحية بعد تعرضه للسُّم ما عدا ما ذكر في بحار الأنوار للمجلسي: حيث قيل: كان يرفع فخذاً ويضع أخرى من شدة الضربة وكثرة السُّم. وكذلك في البدء والتاريخ: ولم يبلغ الضربة مبلغ القتل، ولكن عمل فيه السُّم.

أنواع السُّموم وتأثيرها:

أنَّ السُّموم القاتلة يمكن أن تدخل الجسم عن طريق الفم أو الشَّمِّ أو الدم أو الجلد. وفي حالة الإمام عليه السلام يكون السُّمُّ قد دخل عن طريق الجرح الذي شَرَّب به ابن ملجم سيفه.

وهنا سنتطرق إلى أكثر السُّموم شيوعاً في تلك العهود وبيان تأثيرها الصحي على الجسم وكيفية تسببها بالوفاة.

في الغالب كانت السُّموم التي يستعملها الأقدمون والتي تُطلى بها الأسلحة البيضاء والسهام على أنواع ثلاث: نباتي وحيواني أو معدني (تُنظر قائمة المصادر الأجنبية: ١ - ٢٣).

أولاً: السموم النباتية مثل:

١. نبتة الدجتالس (Digitalis) التي تؤثر على القلب مباشرة، وهذه تستعمل الآن لعلاج عجز القلب ولكن بمقادير ضئيلة جداً (يُنظر الشكل رقم ٧).



الشكل رقم (٧)

نبتة الدجتالس

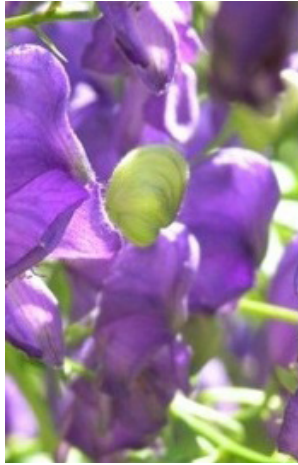
٢. نبتة الكراري (Curare) التي تعمل على نهايات الأعصاب فتحدث شللاً في عضلات الجسم. استخدمها الهنود الحمر لطلي السهام. وهذه أساس التخدير العمومي في عصرنا الحاضر، ولكن بكميات ضئيلة جداً كذلك (يُنظر الشكل رقم ٨).



الشكل رقم (٨)

نبتة الكراري

٣. نبتة الأكونايت (Aconite) التي تؤثر في الجهاز العصبي والقلب (يُنظر الشكل رقم ٩).



الشكل رقم (٩)

نبتة الأكونايت

٤. نبتة الاستركنين (Strychnine) التي تؤثر في النخاع الشوكي مباشرة (يُنظر الشكل رقم ١٠).



الشكل رقم (١٠)

نبتة الاستركنين

ثانياً: السُّموم الحيوانية:

السُّموم التي تؤخذ من الحيوانات مثل الأفعى والعقرب وغيرهما.

ثالثاً: السُّموم المعدنية:

مثل الزرنيخ والسايانيد.

المناقشة:

إن أعراض النوع الأول، أي التسمّم بالدجتالس، متعددة ويهمنها في هذا المجال هو فقدان الوعي بسبب اضطراب شديد في نبضات القلب والوفاة الفجائية. وهذا لا ينطبق على ما حدث للإمام عليه السلام، فوعيه موجود إلى آخر لحظة (١٥).

أما أعراض تسمّم الكراري فتتمثل بالشلل المتفاقم لكل عضلات الأطراف وعضلات الرقبة ومن ثمّ الرأس، وأخيراً عضلات البلع والنطق ثمّ عضلات التنفس فالوفاة، ولا يتأثر الوعي في البداية. وهذا أيضاً لا ينطبق على ما حدث للإمام عليه السلام فحركته دائمة وكلامه مسموع إلى اللحظة الأخيرة (١٦).

أما الأكونايت فيبدأ تأثيره في اللسان حيث يثقل، وربما تُشلّ حركته، وتكون أطراف المصاب شاحبة اللون، باردة، والجلد بارد، ولكن مع التعرق. وتختلج العضلات وتحدث حالة مشابهة للصرع، وتحدث الوفاة بتباطؤ التنفس وتوقف القلب، ويسبقها حالة تدهور في الوعي، وهذا ما لا ينطبق كذلك (١٧).

وفي حالة التعرض لسُم الاستركنين تحدث اختلاجات وتقلصات ظاهرة في عضلات الجسم كافة وشعور بالاختناق. ثمّ

يأخذ الجسم وضع التقلص العضلي الشديد ويسحب الرأس إلى الوراء. وتكرر هذه النوبات وبشدة حتى تسبب الوفاة (١٨).

والتسمم بسُمّ العقرب يبدأ تأثيره مصحوباً بألم شديد في موضع دخول السُمّ وارتفاع في درجة الحرارة، مع ضعف في البلع وزيادة مفرطة في إفراز اللعاب وتقلصات عضلية تشابه نوبات الصرع، ومن ثم يتوقف التنفس فالوفاة (١٩).

والتسمم بسُمّ الأفعى يختلف بعض الشيء باختلاف نوع الأفعى، ولكن في جلّ الحالات يشعر المصاب بالضعف الشديد المتزايد، والنعاس، وبعده ضعف الأطراف ثم شللها. ويشاهد وجود النزف تحت الجلد أو من اللثة والأنف والإدرار والخروج. ويصعب عليه الكلام، ولا يتمكن من البلع ويصعب التنفس ثم يتوقف. وهذه كلها يسبقها فقدان في الوعي (٢٠).

التسمم بالسايانيد يسبب صعوبة في التنفس مع نوبات تشبه الصرع وتشوش في حالة الوعي وبعده فقدان الوعي ثم الوفاة (٢١).

أما التسمم بالزرنيخ فيسبب الصداع واضطراب في درجة الوعي مع التقيؤ والإسهال الدموي، ويكون نفس المصاب ذا

رائحة غريبة تشبه رائحة الثوم مصحوباً بألم شديد في المعدة، وتقلص مؤلم في العضلات ونوبات صرعية وفقدان الوعي التام تتبعه الوفاة (٢٢).

وفي بعض حالات التسمم يمكن أن يكون سبب الوفاة مصحوباً بتلف وعجز في الكبد، وتكون من علاماته الصفرة الشديدة أي اليرقان، ولكن اصفرار وجه الإمام عليه السلام قد ذكر مباشرة بعد الإصابة حينما كان رأس الإمام عليه السلام في حجر ابنه الحسن عليه السلام ووجهه قد زاد بياضاً بصفرة، وكان ذلك بسبب هبوط الضغط الدموي (٢٣).

وكذلك ذكر أن الأصبع بن نباتة عندما دخل على الإمام عليه السلام لم يدر أن صفرة وجهه الواضحة كانت أشد أم صفرة عمامته الصفراء؟ (٥٠) ولم يُذكر أن بياض العينين قد اصفر وهي العلامة الأكيدة لليرقان، والتي تتمثل باصفرار الجلد بسبب عجز الكبد. إن سبب الصفرة هنا إما اليرقان أو شحوب سببه فقدان الدم. يحدث اليرقان بهذه السرعة في حالات تلف الكبد المفاجئ في بعض حالات التسمم. ولكن صفرة وجه الإمام عليه السلام كانت بسبب فقدان الدم وهبوط الضغط الدموي وليست باليرقان. حيث أن هذا الوصف لم يتكرر من الحاضرين ثانية، وكذلك لم يظهر أن هناك أي علامة طبية تدل على عجز في

الكبد حدث بهذه السرعة. وإنَّ عجزاً في الكبد بهذه الشدّة -ولأنّه بسبب سُمّي- يجب أن يكون مصحوباً بفقدان الوعي، وتأثيرات جسمانية وعصبية وهذا لم يحدث في حالة الإمام عليه السلام.

الاستنتاج:

ولعدم تطابق التغيّرات الفسلجية والمرضية في حالات التسمّم المذكورة آنفاً مع حالة الإمام عليه السلام الصحية منذ إصابته وحتى وفاته، فإنّ الرأي بالقول إنّ الوفاة حدثت بسبب أحد السّموم التي تمت مناقشتها لا يمكن قبوله.

ثالثاً: أسباب أخرى محتملة للوفاة:

هناك احتمالان آخران لسبب الوفاة:

أولهما التسمّم الدموي الجرثومي: وهذا يحدث عند تلوث الجرح بجراثيم عالية السُميّة، ومنه تسري إلى الدم مُحدثة تسمّماً دمويّاً قاتلاً. وهذه الحالة، ومن جملة أعراضها المرضية، توسع الأوعية الدموية الجلدية واحمرار الجلد، وخصوصاً في نهايات الأطراف. ولكن في هذه الحالة يكون التسمّم الجرثومي

مصحوباً بالحمى والتعرق. ويجب أن يظهر التهاب الجرح في فروة الرأس الذي هو مصدر التلوث على شكل تقيح الجلد عند الجرح والتهاب السحايا والدماغ؛ وهذا لم يحدث استناداً لما ذكر آنفاً. حيث ذكر عمرو بن الحمق الخزاعي حينما نظر إلى جرح الإمام قال: يا أمير المؤمنين ما جرحك هذا بشيء، والذي يشير إلى أن الجرح يخلو من آثار الاختلاطات المرضية تلك. ولم يرد أي ذكر للحمى مطلقاً.

الاستنتاج:

وعليه، فإن التسمم الجرثومي بصفته سبباً للوفاة ضعيف الاحتمال.

أما الاحتمال الأخير فهو خذلان القلب وجهاز الدوران بسبب فقدان الدم وتيبس الجسم في أيام الصيام السابقة واحتمال عدم تناول السوائل اللازمة خلال يومي الإصابة. يسبب ذلك عدم قدرة القلب على الحفاظ على المعدل الطبيعي للضغط الدموي. وهذه تضعف القلب تدريجياً حتى يتوقف. ولكن لم يذكر لنا الرواة أن دم الإمام عليه السلام كان يسبح على الأرض مثلاً، أو غرق في دمه كوصف متعارف عليه في حالات النزف الغزير،

ولكن الدم قد خضب وجهه ولحيته. ولكن إذا ما أضفنا إلى هذا
 فقدان في الدم كون الإمام عليه السلام كان صائماً شهر رمضان فهو
 بحاجة إلى السوائل بالأصل، وكان لا يزيد على لقمتين أو ثلاث،
 فقيل له، فقال: إنما هي ليالٍ قلائل يأتي أمر الله وأنا خميص
 (١٢، ٣٢، ٣٩). وذكر ابن الأشعث حينما شاهد الإمام: يا أبت رأيت
 عينيه داخلتين في رأسه. فقال الأشعث: عيني دميغ ورب الكعبة
 (٣٠، ٤) وهذا دل على قلة السوائل في الجسم، ولكن هذا الوصف
 كان لحالته في صبيحة اليوم الأول بعد الإصابة، ولا يمكن أن
 يؤخذ ذلك دليلاً على جفاف الجسم إلى درجة أن يكون سبباً
 للوفاة، علماً بأنه ليس من الضروري في هذه الحالات فقدان
 الوعي قبيل الوفاة.

نستنتج أن هذه جميعاً قد سببت هبوطاً متزايداً في الضغط
 الدموي مما أضعف القلب بشدة ولكن هل يمكن عد ذلك سبباً
 للوفاة؟

الخاتمة

ما المقصود بسبب الوفاة؟

في الغالب أن للوفاة سببين: مباشر وغير مباشر. فالمباشر مثل تهشم الرأس الشديد الناتج عن دهس مركبة أو إصابة بطلقات نارية متعددة في الرأس أو القلب أو إصابة بجلطة شديدة في القلب أو الدماغ. أما السبب غير المباشر فمثل توقف القلب بسبب فقدان الدم الشديد، فالمباشر هو توقف القلب وغير المباشر هو فقدان الدم، أو الوفاة بجلطة الرئة الناتجة عن تخثر في أوعية الساق فالسبب المباشر هو عجز الرئة وغير المباشر هو الخثرة الوريدية في الساق أو توقف التنفس عند المصاب بسرطان القولون المنتشر إلى الرئة حيث المباشر هو توقف التنفس وغير المباشر هو السرطان.

الاستنتاج النهائي:

مما تبين من العرض، نتوصل إلى الاستنتاج بأن إصابة الرأس ليست السبب المباشر للموت، ويبقى احتمال كون السبب المباشر للموت هو السُمّ قائماً! فإذا كان كذلك فإنه يمكن أن يتسبب من غير السُموم المذكورة في هذا البحث.

ويبقى سبب الوفاة الحقيقي بحاجة إلى المزيد من الدراسة والتحقيق، آملاً أن تستجد بعض الإضافات البحثية في المستقبل. وأختتم بقول الشيخ الرئيس ابن سينا والذي كان يردده دوماً أستاذهي المرحوم العلامة الدكتور حسين علي محفوظ: «ندعو الله أن يجنبنا الزيغ والزلل، والاستبداد بالرأي الباطل، واعتقاد العجب فيما نرى ونفعل، والحمد لوهاب العقل».

مصادر البحث

قائمة المصادر العربية

١. مروج الذهب: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، تحقيق محمّد محي الدين عبد الحميد، مصر، مطبعة السعادة، ١٣٧٧هـ، الجزء الثاني ص ٤٢٣-٤٢٤.
٢. تاريخ أبي مخنف: استخراج وتنسيق وتحقيق كامل سلمان الجبوري، الجزء الأوّل، دار المحجة البيضاء، ص ٣٣٠-٣٣٤.
٣. كتاب الطبقات الكبير: محمّد بن سعد كاتب الواقدي، طبع مدينة ليدن ١٣٢١ هـ، ص ٢٢-٢٤.
٤. تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي، الباب السابع، ص ١٠١-١٠٣.
٥. كتاب الطبقات الكبير: محمّد بن سعد، طباعة مدينة ليدن، ص ٢٢-٢٤.
٦. تاريخ الخلفاء الراشدين: أبي محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، القاهرة، مطبعة مصطفى محمّد، ص ١٥٤-١٥٥.
٧. أنساب الإشراف: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ص ٤٩١-٤٩٦.

٨. كشف الغمة: بهاء الدين الأربلي، منشورات الشريف الرضي، الجزء الأوّل ص ٤٠٨-٤١٠.
٩. مروج الذهب: المسعودي، الطبعة الثالثة، مصر، ص ٤٢٣-٤٢٤.
١٠. كتاب الاستيعاب: ابن عبد البر، تحقيق علي محمّد البجاوي، بيروت، دار الجيل، ١٤١٢هـ، ص ١١٢٣-١١٢٨.
١١. المنتظم: ابن الجوزي: تحقيق محمّد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٦٨هـ، ص ١٧٤-١٧٥.
١٢. أسد الغابة: عزّ الدين أبي الحسن الشيباني المعروف بابن الأثير، المجلد الرابع، الناشر المكتبة الإسلامية، ص ٥٣٧.
١٣. تاريخ الكامل: ابن الأثير، الجزء الثالث ص ١٦٨-١٦٩.
١٤. الرياض النضرة: المحب الطبري، الباب الرابع ص ٢٤٥-٢٤٧.
١٥. تاريخ الإسلام: شمس الدين محمّد بن أحمد الذهبي، الجزء الثاني ص ٢٠٥.
١٦. مجمع الزوائد: نور الدين الهيتمي، طباعة القدسي بمصر ١٢٥٣هـ، الجزء التاسع ١٣٨-١٤٠.

١٧. جواهر المطالب: شمس الدين الباعوني، مجمع أحياء الثقافة الإسلامية، الجزء الثاني الباب الثامن والخمسون ص ٨٥-٩٧.

١٨. نور الأبصار: الشيخ مؤمن الشبلنجي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٧٨م، ص ١١٧.

١٩. ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربي: المحب الطبري، الجزء الأول ص ٥٣٦-٥٣٨.

٢٠. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: الشيخ المفيد، تحقيق مؤسسة آل البيت، الجزء الأول ص ٢٠.

٢١. تاريخ ابن خلدون: المجلد الثاني ص ١١٣٣.

٢٢. الإمامة والسياسة: ابن قتيبة الدينوري، تحقيق الزيني، الجزء الأول ص ١٣٧.

٢٣. مقاتل الطالبين: أبي الفرج الأصفهاني، شرح وتحقيق السيد أحمد صقر، طبع دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٩م، ص ٣٢-٣٦.

٢٤. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، بيروت، دار الكتب العلمية، الجزء السادس ص ١١٣ - ١٢٠.

٢٥. ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من تاريخ دمشق: ابن عساكر، تحقيق محمد باقر المحمودي، دار المطبوعات، بيروت، ص ٢٩٤-٣٠٠.

٢٦. البداية والنهاية: ابن كثير الدمشقي، مطبعة السعادة بمصر، الجزء السابع ص ٣٢٦ - ٣٢٨.
٢٧. تاريخ اليعقوبي: أحمد بن يعقوب بن جعفر المعروف بابن واضح البغدادي، مطبعة الغري النجف الأشرف، الجزء الثاني ص ١٨٩.
٢٨. ذخائر العقبى: المحب الطبري، الجزء الأول ص ٥٢٦ - ٥٣٨.
٢٩. العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية بيروت، الجزء الخامس ص ١٠٧ - ١٠٨.
٣٠. مقتل الإمام أمير المؤمنين: ابن أبي الدنيا، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٥٤ - ٢٦٠.
٣١. كتاب البدء والتاريخ: مطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة المثنى بالأوفست، بغداد، ص ٢٣١ - ٢٣٢.
٣٢. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري، الجزء الخامس عشر ص ١٧٠.
٣٣. مطالب السؤول: كمال الدين محمد بن طلحة، ص ٦٣.
٣٤. الفتوح: ابن أعم، بيروت، دار الندوة الجديدة، الجزء الرابع ص ١٣٥ - ١٤١.

٣٥. القاموس المحيط: مجد الدين الفيروز آبادي.
٣٦. تاريخ الطبري: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف سلسلة ذخائر العقبي، مصر، ص ١٤٣ - ١٤٥.
٣٧. المنتظم: ابن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الجزء الخامس ص ١٧٤ - ١٧٥.
٣٨. تهذيب الأسماء واللغات: أبي زكريا محي الدين النووي، إدارة الطباعة المنيرية، الجزء الأول ص ٣٤٩.
٣٩. سمط النجوم العوالي: عبد الملك العصامي المكي، مطبعة السلفية بمصر، الجزء الثاني ص ٤٦٦ - ٤٦٧.
٤٠. الصحيح من سيرة النبي الأعظم: العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي، الجزء الحادي عشر ص ٥٩.
٤١. المناقب: الموفق الخوارزمي: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٤هـ، ص ٢٧٦.
٤٢. الخرائج و الجرائح: قطب الدين الراوندي، الجزء الأول ص ١٨١.
٤٣. تيسير المطالب: يحيى بن الحسين بن هارون الهاروني، راجعه يحيى بن عبد الكريم الفضيل، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ص ٧٨ - ٧٩.

٤٤. الكامل في التاريخ: ابن الأثير، بيروت، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م، الجزء الثالث ص ٣٨٧.

٤٥. معجم الاستشهادات: علي القاسمي، مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠١ م، ص ٤٠٠.

٤٦. التذكير ببعض أحكام العمامة: أبو عبد الله خالد بن محمد الغرباني، دار المعرفة.

<http://www.kl28.net/knol4/?p=view&book=3815>

٤٧. الأمالي: للشيخ المفيد، ص ٢٢٦.

٤٨. الأمالي للشيخ الطوسي: تحقيق مؤسسة البعثة، دار الثقافة، عام ١٤١٤ م، ص ١٢٣.

٤٩. الأخبار الطوال: أبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري، تحقيق عبد المنعم عامر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، ص ٢١٣-٢١٤.

٥٠. بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي، دار الكتب الإسلامية، الجزء الأربعون ص ٤٤-٤٥.

قائمة المصادر الأجنبية

١. النبي موسى ﷺ

<http://jewishencyclopedia.com/articles/11049-moses#2846>

٢. النبي عيسى ﷺ

Edwards WD, Gabel WJ, Hosmer FE (March 1986). «On the physical death of Jesus Christ». .63-JAMA 255 (11): 1455

٣. كونفوشيوس

Johnson, Spencer. The Value of Honesty: The Story of Confucius. La Jolla, CA: Value .Communications, 1979

٤. كواتاما بوذا

Bhikkhu, Mettanando; How the Buddha died, Bangkok Post, May 15, 2001

٥. إسحاق نيوتن

Eric Weisstein's «(1727–Newton, Isaac (1642 .World of Biography. Retrieved 30 August 2006

٦. ألبرت آينشتاين

Graver, L. M. (November 1995), «Cohen, J. R «The ruptured abdominal aortic aneurysm of Albert Einstein», Surgery, Gynecology & 8–Obstetrics 170 (5): 455

٧. فلاديمير لينين

Lenin's Stroke: Doctor Has a ؛Kolata, Gina Theory (and a Suspect), The New York Times, May 7, 2012

٨. جون كندي

<http://www.jfklancer.com/autopsyrpt.html#T7miqkVul8E>

٩. لودفيك فان بيتهوفن

<http://www.favorite-classical-composers.com/how-did-beethoven-die.html>

١٠. وولفكانك موزارت

Zegers, Richard H. C., MD, et al., The Death of Wolfgang Amadeus Mozart: An Epidemiologic Perspective, Annals of Internal Medicine, 278–August 1, 2009 vol. 151 no. 4 274

١١. تسميم الأسلحة

<http://www.aarc.org/resources/biological/history.asp>

North, David E.; American Indian hunting and warfare, University of Texas Press 2007

Cute killers: 16 unassuming-but-lethal poison plants. By Ecoist in Featured Articles, Food&Health, Nature&EcosystemsWebecoist.com, September 16, 2008

١٢. السُموم بصورة عامة

Smith, Sydney; Taylor's Medical Juriceprudence, Editor; 10th. Edition, London, Churchill, 1948

١٣. الأخاديد في الأسلحة لتسميمها

<http://www.portfolio.mvm.ed.ac.uk/studentwebs/session2/group12/ancient.htm>

http://pooleysword.com/en/Evolution_of_Swords_-_Swords_of_the_Middle_Ages

١٤. الثقوب في السيوف لتسميمها

http://www.metmuseum.org/toah/hd/aams/hd_aams.htm

١٥. ديجيتاليس

<http://emedicine.medscape.com/article/154336-overview>

١٦. كراري

<http://www.botgard.ucla.edu/html/botanytextbooks/economicbotany/Curare>

١٧. الاكونايت

http://penelope.uchicago.edu/~grout/encyclopaedia_romana/aconite/aconite.html

١٨. استركنين

<http://www.merckvetmanual.com/mvm/index.jsp?cfile=htm/bc/213700.htm>

١٩. سم العقرب

Mosche Gueron, Reuben Ilia and Shaul Sofer,
;258-Clinical Toxicology – 30 (2): Pages 245
The cardiovascular system after scorpion
.envenomation

٢٠. سم الأفعى

Minton , Sherman A.; Snake Venoms and Envenomation, Clinical Toxicology 1970, Vol. 345-343 :345-3, No. 3, Pages 343

٢١. السيانيد

., Cunha, John P

[http://www.emedicinehealth.com/cyanide_poisoning/page3_em.htm#Cyanide Poisoning Symptoms](http://www.emedicinehealth.com/cyanide_poisoning/page3_em.htm#Cyanide_Poisoning_Symptoms)

٢٢. الزرنيخ

http://www.medicinenet.com/arsenic_poisoning/page2.htm#symptoms

٢٣. عجز الكبد

Li-gang Chen, Bayasi Guleng, Jian-lin Ren, Jian-min Chen, Lin Wang ; Artificial liver support system in treatment of liver failure after acute poisoning, World Journal of Emergency Medicine, <http://www.wjem.org/default/articlef/index/id/138>

